صورة واحملهم شكلا استعمله ابى فى الكتابة السلطانية بجنبنا ايام تحولنا عن الاندلس منه كل شئ وهو كان
السبب فى نقل ابى مصنف هذا الكتاب الذى رباه وادبه واستخدمه حسبما هو معروف وكفانا الله شر من
احسنا اليه واساء الينا انتهى وكتب على قوله والذى فترنى الى الكتابة الى اخره ماصورته على يد سيدى ابى
عبد الله بن مرزوق ولا حول ولا قوة الا بالله انتهى وكتب على قوله معاذ الهوى ان اصبح القلب ساليا
الخ مانصه هذه القصيدة نظم لمولاى الوالد تغمده الله برحمته منها النسيب كله وهكذا جرت عادته
معه فى الامداح السلطانية حضرت لذلك والله المطلع على ذلك قاله ابن المصنف على ابن الخطيب انتهى
وكتب على قوله اولا ما لقى بارق التذكار الخ ماصورته هذا الرجل الشيطان كثيرا ما ينظم فى هذا الروى
ويتبع حمارة هذا الراى حتى لا يترك جملة اذ الرجل ابن حمار مكارى حداد فالنفس تميل بالطبع انتهى وكتب
على قوله حيالك يا دار الهوى من دار الخ ماصورته انظر الى كثرة تحريكه لحمارة هذا الراى علقت لربها
ما الحق بنا انتهى وكتب على قوله وجوارح سبقت اليه ظلالها الخ ماصورته سرق طردية ابراهيم
ابن خفاجة فانظره تجده سرق المعانى والالفاظ مع ان والدى نظم له اكثرها على حسب عادته معه قاله
على بن الخطيب انتهى وكتب على قوله يا مصباح مانصه كان يحب صبيا اسمه مصباح وهو الآن مجنون
العقل بتونس يتحرف بالحياكة انتهى وكتب على قوله الا يمنى فى الجود الخ ماصورته كذبت يا نحس من
ابن الخزلك اوليتك الست والله من الجود فى شئ نعم نحنه عين الجود انتهى وكتب على قوله لقد علم الله انى
امرؤ الخ ما معناه لا والله فانت مشهور بكذا يا قرنى ابن العفاف وانت بالاندلس كذا وكذا الى ان قال واعظم
بيتا قاله مولاك الذى ربيت فى نعمته ونعمة الله على بن الخطيب بالقاهرة انتهى وقد نسبه الى ما يليق
فالله اعلم بحقيقة الامر وكتب غيره على قول ابن زمرك ازورد تعلى الابيات المتقدمة عند قوله سائلا
فى موضعين ماصورته حامى السوال لحصل على الايطا المذموم انتهى قلت اما ماذكره ابن
لسان الدين من ان اباه كان ينظم لابن زمرك فذلك والله اعلم فى ابتداء امره والا فقد جاء ابن زمرك فى اخر ايام
لسان الدين وبعد موته بالبدائع التى لا تنكر كما سنذكره واما كونه سعى فى قتل لسان الدين مع احسانه اليه فقد
جوزى من جنس عمله وقتل بمراى من اهله وسمع وازهقت معه روح ابنيه حسبما نذكره وهذا قصاص الدنيا
وعفو الله فى الاخرة منتظر للجميع ولنذكر ترجمة ابن زمرك من كلام ابن السلطان ابن الاحمر فى مجلد
ضخم رايته بالمغرب جمع فيه شعر ابن زمرك وموشحاته وعرف به فى اوله اذ قال مانصه اما بعد
ما يجب من حمد الله فى كل حال وشكره على ما اولى ويسر من صلاح الاحوال والصلاة والسلام على سيدنا
محمد صفوة الانبياء وسيد الارسال والرضى عمن له من صحب وانصار وآل فان من المعلوم ان الادب
له بالنفس علاقة تؤديه الى الاستحسان وتوثر من اشتهر بالملاحظة بلحوظ الحظ مع تعاقب الاحيان
ولا خفاء ان ايام مولانا الجد المقدس الغنى بالله تولاه الله برضوانه كانت غررا فى وجوه الايام ومواسم
تجمع العلماء والرؤسا والاعلام الاخذين باعنة الكلام السابقين فى حلبة النثار والنظام
وان الفقيه الرئيس المدرك الناظم الناثر ابا عبد الله محمد بن يوسف بن زمرك عفا الله عنه وحسبك بمن
ارتضاه مولانا الجد لكتابته ومرفه فى الوجوه المتعددة من رسالته وحجابته وكان بذلك خليقا
لما جمع من ادوات الكمال علما وتحقيقا وادراكا ونبلا وفهما واصولا وفروعا وادبا وتحصيلا وبيانا
وتعبيرا ونظما وترسيلا لما كان قد لحقته الايام بسئ صبحه وخابت وسائل نصحه وعادت بعد وانها
بعد فوز قدحه وعثرت بين اقدام اقوام اذ خرقعدوا ولاى مطلق من تقريبانه الجميلة
قيدوا مستنصرين بالجهل فى دياجى لججهم معجبين بما ارتكبوه من جياد بغيهم جميعهم يلحظ بمقل
دامية والفاظ حامية يعاملونه باوجه خلت من الوجاهة سيماها الحسد وضميرها السخط بما
قدره الواحد الصمد تخرم الالوة لم يوشك كان جبينه سيف صقيل فيا سرعة انثلامه هنالك
واعلاقه غير مصونه ووسائل محفوظه وادمته قطعت ارحامها ولم يرع ذمامها وحانت الايدى
الفاتكة حينئذ على بنيه وارتكبوها شنعاء فى اهله وذويه

هل كان الا الحيا يحيى العباد به ، هل كان الا قذى فى عين ذى عور
ان قال قولا ترى الابصار خاشعة ، لما يجيبه من وحى ومن اثر
يا لهف نفسى لو قد كنت حاضره ، غداة جرعه ادهى من الصبر
لما تركت له شلوا بمضيعة ، ولا تولى صريع الناب والظفر
وكان ما كان مما لست اذكره ، فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

وان سال سائل عن الخبر الذى المعنا بذكره وضمنا هذا البيت دراما فظيع امره فذلك عند ما انتاب صاحب
الامر اليه مارابه وتلك وابنيه للحين معفرين بالتراب وصلاه فى جنح الليل والمصحف بين
يديه يتوسل باياته ويتشفع بعظيم بركاته فاخذته السيوف وتعاورته الحتوف واذهب سليبا انتهاك
مصير انتزاع منزله كثيبا مهيلا وكنا على بعد من هذه الازمة التى ادرنت القلوب بها طويلا وذكرنا
لسانه مولانا الجد الغنى بالله بجانبه اعظم ذكرى فاغربنا بوتايه خلدا وفكرا وارتحلنا عنه كرم الآن
هذه الابيات اشارة مقنعة وكناية فى السلوان مطمعة وارضينا بالشفقة اوداه وارغمنا بتابينه اعداه
ولما تبلج الصبح لذى عينين وتلقينا راية الفرج بالراحتين عطفنا على ابنايه عواطف الشفقة
واطلقنا لهم ما عاثت الايدى عليه صلة لرحم طالما امتاعها من جهل الائمة واخفر عهود تخدمه لمن سلف
من الائمة وصرفنا للبحث والتفتيش وجوه امالنا وجعلنا مم مانثرته الحوادث من منظومه من اكيد
اعمالنا وكان تعلق بمحفوظنا جملة وافرة من كلامه مشتملة على ما راق وحسن من نثاره ونظامه اضفنا

فيها

ذلك الى ما وقع عليه اجتهادنا من رقاعه المحايلة المنتهبة بايدى النوايب الداثرة المستلبة بتعدى
النواهب فخلص من الجملة قلائد عقيان وعقود در ومرجان ترتاح النفوس النفيسة لانشادها
وتحضر الابصار والاسماع عند ايرادها الى ما تخللها من تخليد مآثر سلفنا والاشادة بعظيم ملكنا
فشرعنا فى تقييد اوابدها الشاردة واحيا رسومها البائدة كلفا بالادب لوصف فضله وتاديه لما
يجب من رعاية اهله ولنبدا بالتعريف بحال هذا الرئيس المنبه عليه ونظهر ما كان نظره من الميل اليه
فى كل ماله او عليه فنقول هو الفقيه الكاتب الفذ الاوحد ابو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن احمد
ابن يوسف الصريحى ويعرف بابن زمرك اصله من شرق الاندلس وسكن سلفه بالبيازين من غرناطة وبها
ولد فنشا مشتملا كالشهاب يتوقد مختمرا لحزم والاعين باطالة تفاضله تشهد ومكتب العفة القرآنية
يونسه بالجانب المهد فاشتغل اول نشاته بطلب العلم والدوب على القراءة واخذ نفسه بملازمة
حلقات التدريس ولم يبلغ حد وجوب المفروضات الا وهو متحمل للروايه وملتمس لفوائد الدرايه ومصابح
لا يوم اعلام العلوم ومستمد بمصابيح الحدود العلمية والرسوم ثم افتتح ابواب الكتب النحوية بالامام ابى
عبد الله بن الفخار الالبيرى الكبرى فى فن العربية وتردد الاعوام العديدة الى قاضى الجماعة ابى القاسم الشريف
ما حسن الاصفا وبد النحاة البلغا بما اوجب ان رثاه عند الوقوف على ضريحه بالقصيدة الرائية التى اولها
اغرى سراد الحى بالاطراق ، واهتدى فى طريق الخطبة ومناهج الصوفية بالخطيب المعظم ابى عبد الله
ابن مرزوق الوافد على مولانا الجد ابى الحجاج رضى الله عنه فى عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة واليه جنح
واياه قصد عند تغربه الى المغرب فى دولة السلطان ابى سالم فتوجه بالعمامة التى ارتجل بين يديه فيها
تتوجنى بعمامه ، توجت تاج الكرامه ، فروض حمدك يزهى ، منى بسجع الحمامه
واخذ علم الاصلين عن الحافظ الناقد ابى على منصور الزواوى وبرع فى الادب اثناء الانقطاع واول
الطلب لابى عبد الله بن الخطيب ولكن لم يجد بينهما الحال واقتدى فى العلوم العقلية بالشريف ابى عبد الله
التلمسانى نادرة الزمان وحصلت له الاجازة والتحديث بقاضى الجماعة وشيخ الجملة ابى البركات ابن الحاج
وبالخطيب البليغ ابى عبد الله اللوشى وبالخطيب الورع ابى عبد الله بن بيش العبدرى رضى الله عنه وعن
جميعهم وبولجب محافظتنا على عهدهم اذ نحن واردونا بالاجازة التامة عذب وردهم وصل سببنا بهم الكثير
من شيوخنا مثل الامام المعظم ابى محمد عبد الله بن جزى ومعلمنا الثقة المجتهد ابى عبد الله الشريشى والقاضى
الامام ابى عبد الله محمد بن على بن علاق وغيرهم رحمة الله عليهم اجمعين لذلك سار صدرا فى نوادى الطلبة الاذكى
والزاد بحيابها قانسا به المجالس بجمع فى خصله وبلقاء من بابه فضل فكاهة ومجالسة انيقة ممتعة
ومحادثة اريضة مزوج وجوابا مطبقا للمفصل وذهنا سابقا لايضاح المشكل مع انقياد الطبع وارسال
الدمعة فى سبيل الخشوع والرقة ورشح الجبين عند تلقى الموعظة وصون الوجه بجلباب الحيا ومقابلة
الناظر اليه بالاحتشام والمبادرة للاستدعا على طهارة وبذل وسع وكرم نفس لم يعهد اجل مشاركة منه لاخوانه
ولا امتع منه بجاهه الى مبالغة فى الهشة والمبرة والايثار بما منح وجنوح الى حب الصالحين ذلك بلا انضوا
للشيخ الزرق الصوفية الولى ابى جعفر بن الزيات واخيه الفاضل الناسك شيخنا ابى مهدى قدس الله معناه
وسواهم من اهل الاندلس والعدوة وحملة اسد الحمل على كل متلبس كابى زكريا البرغواطى وسواه ومن تنديرانه
ترعواطى ابى الحسن المحروق لميل عنه ولد القفر والرباط ولكن نفسه للسلوك ذات انقياد
وخطبا الادب يافعا وكهلا وحاز علمه ادراكا منهلا ولما كانت الحادثة على مولانا الجد رحمه جماعة
واجتاز الى المغرب كما تقرر فى غير هذا كلف به وانس اليه بحلاوة منطق ورفع استيحاش وبراوة خلق تم
كر فى صحبته ركابه فعلت منزلته ولطف محله وقفنا على رقعة من رقاعه وهو يبدى فيها ويعيد ويقول
خدمته سبعا وثلاثين سنة ثلاثة بالمغرب وباقيها بالاندلس انشدته فيها ستة وستين قصيدة فى ستة
وستين عيدا وكل ما فى منازله السعيدة من القصر والرياض والدشار والسبيكة من نظم رائق ومدح فائق
فى القباب والطاقات والطرز وغير ذلك فهولى وكتب او الكله واوكل ابنه مولاى ابا الحجاج وهما كبيرا
ملوك اهل الارض وهنالك بكذا وكذا قصيدة وفوض لى فى عقد الصلح بين الملوك بالعدوتين وصلح النصارى
عقدته تسع مرات الخمسة فوض الى ذلك قلنا صدق فى جميع ما ذكره والعقود بذلك شاهدة له وختمه
عام ثلاثة وسبعين بكتابة سره واستعمله بعد اعوام فى السفارة بينه وبين ملوك عصره مجهد منابه ونمت
احواله ورغد جنابه وكان هنالك بعض تقولات تشين وجه اجتهاده وتوى بما احتقبه من سئ مقاصده
وما رمى من قبيح اغراضه وهاجت الفتنة فكانت سفارته اعظم اسبابها وعند الاشد من عمره ومرت الانكاد
تقلبات واتفاق وتعقد من قداح السياسة آفات مختلفات والشرته حرج ذهنه انه يبحثها فى اشراك وقعا
فقعد بجامع مالقة ثم بمسجد الحمراء ملقيا على الكرسى فنونا جمة وعلوما لم يزل يتلقاها عن اوليا التعظيم
والتجلة فانجاز الى ما يلى من امم بمالقة طامنهم البحر وتراى لابصارهم وبصايرهم الفخر وكان التفسير اغلب عليه
لفرط ذكايه وما قيده وحصله ايام قراءته واقراءه مما شيت من بيان واعجاز قران وايات توحيد
واخلاص ومناهج صوفية تؤذن باخلاص يوم الاخذ بالنواصى ومرارع وجمع ما يلقيه ولى الامر وما شاع
البلوى التى اد اثمرها واعطاه المطية الهلاك ظهرها وما قرب مال كان الفوت ، والحلم الصلت من
مباعد هذه القرب التى الغيث قلنا لقد جمح جواد القلم فاطلقنا ونحن نسير الى هذا الرابس ونبدل
بعد انقضاء اعوام شاهدة باصلاحه واحراز شيم ادت الى علو مقداره واستقامة مداره فاقال عمر

Copyright King Saud University